الفصل التاسع

الأسباب الداخلية لافتراق المسلمين

١ ـ التنازع على الإمارة والملك من أسباب فرقة المسلمين:

أول سيف سُلَّ في الإسلام على القواعد الدينية سيف الخوارج ، فلم يقاتل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على إمامة ، ولا قاتله أحد على إمامته ، ولا ادعى أحد في خلافته أنه أحق بالخلافة (الإمامة) منه (لا عائشة ولا طلحة ولا الزبير ولا معاوية رضي الله عنهم أجمعين ولا أصحابه ولا الخوارج) بل الجميع معترفون بفضله وسابقته بعد عثمان رضي الله عنهما ، ولم يكن أحد يقول عن الخلفاء الثلاثة إن خلافتهم غير صحيحة ولا أن خلافتهم ثابتة بالنص.

وأما الحرب بين طلحة والزبير وعلي فكان كل منهم يدافع عن نفسه يدفع صولة غيره عليه فهم كانوا يطلبون قتلة عثمان وكان للقتلة من قبائلهم من يدافع عنهم فلم يتمكنوا منهم ولما علم علي رضي الله عنه ذلك كان هذا رأيه إلا أن القتلة حملوا على أحد العسكرَيْنِ فظن الآخر أنهم بدؤوا القتال فوقع القتال بقصد الفتنة ، ولما كان ابن زياد ومروان بالشام وثب ابن الزبير بمكة ووثب القراء بالبصرة ، فمن بالشام قاتلوا على الدنيا ومن بمكة كذلك قاتل على الدنيا وكذلك الخوارج.

كذلك التنازع في زمن يزيد مع الحسين وما أعقبه من غدر شيعة العراق به (الحسين) واستغلال السبئية تأجُّجَ محبة آل البيت في القلوب فظهرت المغيرية والبيانية وغيرها من الفرق الشيعية الغالية عندما قام الإمام زيد بالخروج على هشام وهزيمته.

كما برزت حركة المختار الثقفي الذي كان يهوى امتلاك العراق وما ادعاه من نزول جبريل (عليه السلام) عليه ، وهكذا تأسست المختارية الكيسانية بدعوتها أن محمد ابن الحنفية هو المهدي المنتظر وأنه بجبل رضوى عنده عسل وماء وأنه لم يمت.

ثم حركة محمد بن الأشعث الذي انهزم عام ٨٣ للهجرة ، وبرزت بعدها مقالات الإرجاء المبتدعة ، ثم ثورة الحارث بن سريع يعاونه المشركون الترك وبجانبه الجهم بن صفوان والمرجئة ، ثم قيام اليزيد بن الوليد على ابن عمه الوليد بن يزيد فناصرته فرقة القدرية ، وعندما قام مروان بن محمد لطلب الملك شمَّر لمقاتلة القدرية ولكنه كان جعدياً أيضاً.

لذا فطلب الملك كان سبباً للاقتتال وسبباً لانتعاش فرق قد تجمعت في فترات سابقة مثل القدرية التي قمعها هشام بن عبد الملك وانتعشت عندما اعتنقها يزيد بن الوليد.

٢ ـ التعصب القومي بين الموالي الذي قابله تعصب آخر من بعض العرب الذين قدموا التعصب على التسامح الإسلامي.

* * *

الأسباب الخارجية لافتراق المسلمين

أ ـ كيد اليهود الذين سقط من أيديهم أن يكون النبي ﷺ الذي كانوا يستفتحون به على العرب منهم حسداً وكبراً (كابن سبأ ، وابن أبي الحقيق).

ب ـ كيد النصارى كالجاثليق الذي عارض أول الأمر في إضلال الله عباده.

جـ ـ الفرس الذين زالت دولتهم والتي كانت ثاني أكبر دولة في حينه.

د ـ الهنود الذين أرادوا أن يفرضوا ديانتهم.

هـ ـ فتوحات البلاد والأمصار ذات الثقافات المختلفة مما أسرع في سريان عوامل التأثير والتأثر بين العرب المسلمين وغيرهم من أهل البلاد المفتوحة.

و ـ ترجمة الكتب التي تحمل تلك الثقافات والعلوم الاجتماعية ذات العقائد الوثنية.

ز ـ ما نشأ من رق وموالي في الأسر الإسلامية إذ صار في كل بيت عبد ومولى أو أمة وكل يحمل معه رواسب مجتمعه وتقاليده التي لا تمت لعقيدة الإسلام ، بقي القسم الكبير محافظاً عليها يفرضها بطريقة أو بأخرى على عوام المسلمين وقسم ينشرها في عقائد المسلمين ظاهراً أو سراً تعصباً لمذاهبهم الوثنية.

حـ ـ ما درج عليه عوام المسلمين من التشبه بالكفار وقد نهى الإسلام عن ذلك.

* * *

الأصول التي ضلّت بها الفرق

١ ـ البحث في ذات الله.

٢ ـ البحث في صفاته تعالى وعرضها على العقل.

٣ ـ البحث في أفعاله تعالى.

٤ ـ البحث في الوعد والوعيد.

٥ ـ القول بالإيمان.

٦ ـ القول بالقدر.

٧ ـ القول في الإمامة.

٨ ـ من تتبع المتشابه يبتغي الفتنة أو التأويل الباطل ، لذا فالجدال الذي أحدثته فرق الابتداع أوصل للتأويل للكتاب والسنة ورَدِّ البدعة ببدعة ، ومخالفة منهج السلف للقول بالتكفير وقامت الفرق الجهمية المعطلة ، المعتزلة ، الشيعة ، الخوارج ، ثم المرجئة للرد على الخوارج بالتحلل من الواجبات ولترد على الخوارج (التي تكفر أهل الكبائر) ، ثم ابتدعت المعتزلة المنزلة بين المنزلتين ، ثم قامت المعطلة من الجهمية فقابلتهم المشبهة بالتجسيم ، ومقابل الفرقة القدرية النافية للقدر الأمر نفسه قابلتها الجبرية الجهمية بأن العبد مجبور وأنه ريشة في مهب ريح ، ومن غلو المرجئة التي تفضل الإيمان على العمل ونفي زيادته ونقصانه ليتاح للفساق عمل المحرمات بعد أن اطمأنوا أن إيمانهم باق لا يضره شيء ، وغُلُو المعطلة النفاة (جهمية ومعتزلة).

٩ ـ الجهل بالدين: فمثلاً ستة عشر من شخصيات المعتزلة هم من

أصحاب الحرف والباعة والذين لا علم لهم بالشرع ، فهذا إسماعيل من أهل الكوفة شعر بأن الناس يكثرون الدخول على بيت جواره فسألهم فقالوا: هنا علي بن أبي طالب فدخل عليه ومعه سوطه مخبأة فرأى رجلاً قصيراً بطيناً نبطياً فسأله: أنت عليٌّ؟ فهز برأسه فرفع سوطه وضربه وهو يقول: أنت علي يا كذا؟ فصار ينادي. .لتاوي. .لتاوي ، وقال للمجتمعين: علي نبطي يا سفلة. فقامت اليزيدية والروافض عنه وقال هذا النبطي: هم أخذوني وقالوا: أنت علي بن أبي طالب وأغروني بالمال.

ـ عاقب عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه صبيغاً التميمي الذي كان يجادل في متشابه القرآن.

ـ كما حذّر عثمان بن عفان أمير المؤمنين رضي الله عنه من الفتنة فقال عندما أشرف على الناس وهو محاصر: أيها الناس ، لا تقتلوني واستعتبوني فو الله لئن قتلتموني لا تصلون جميعاً أبداً ولا تجاهدون عدواً جميعاً ولتختلفن حتى تصيروا هكذا (وشبك أصابعه) وقرأ: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٩].

ـ علماً بأن أهل البدع والضلالات كانوا بعيدين عن الفهم الصحيح للعقيدة وكانت لهم مصادر فكرية حاقدة تغذيهم ، لذا لم يجترئوا أن يظهروا بدعهم إلا في دعوات سرية أو باستخدام التقية في إظهار المعاني وإدخال علم الظاهر والباطن والادعاء بالتقوى ظاهراً والتحرك ضمن السُّذَّج والبسطاء وخداعهم بالألفاظ والشعوذة والسحر.

وباستمرار فإن أهل الضلالات لم يتوقف عملهم لضرب الإسلام إذ كلما افتضح أمرهم في مكان اختفوا وأعادوا العمل في مكان جديد بشكل آخر ، ولا يزال هذا ديدنهم في الزمن الحاضر يستغلون كُتَّاباً معاصرين باسم الاستشراق أوالحداثة يناصرونهم يسددون سهامهم للطعن؛ بالسنة من خلالهم ليقعوا في آل البيت والصحابة الكرام والخلفاء الراشدين الذين

رضي الله عنهم في كتابه ، ومن أصحاب رسول الله ﷺ وعلماء سلف هذه الأمة.

ـ لقد كان علماء الأمة في العصور الأولى يفضحون أدوار هؤلاء ويسقطون بدعهم ويُعَرُّونهم فلا يدعونهم ينتشرون ويتوسعون وكانوا يمنعون العَوامَّ من مجالستهم ، ولا يقيمون لهم جدالاً إلا بحضور الخلفاء وبأماكن محدودة وليس بين الجماهير ويُفتون بقتل دعاتهم.

وكان الخلفاء من مهامهم حماية العقيدة وقتل أهل البدع والضلالات في الدين ، فهذا علي بن أبي طالب الخليفة الراشد رضي الله عنه حرق الزنادقة السبئية الذين قالوا: أنت إلهنا وبعد أن استتابهم مدة ثلاثة أيام فلم يرعووا.

ـ كما قتل الخلفاء عدداً منهم كلما ظهرت بدعتهم ، منهم الجهم بسبب زندقته وإلحاده وكذلك الجعد بن درهم وغيلان وصالح بن سويد القدريان ، والمغيرة بن سعيد الذي صلب وبشار بن برد الأعمى والسهروردي إذ وقع في عهد هشام بن عبد الملك قتل معظم رؤوس الفتنة ، وكذلك أميره خالد القسري الذي استهدفه الزنادقة بالطعن.

ووجد في ديوان هشام بن عبد الملك: إلى نصر بن يسار عامل خراسان ، أما بعد ، فقد نجم قبلك رجل يقال له جهم من الدهرية فإن ظفرت به فاقتله.

ـ أدخلت على ديانة التوحيد عقيدة التثليث وألوهية الصالحين كالعزير والمسيح وعلي ، كل هذا كان من المضاهاة لأهل الديانات القديمة منها:

١ ـ في الوثنية الفرعونية كان الثالوث: إيزيس أوزوريس ، حوريس (ابن) ، إذاً فالقاعدة الوثنية كانت هي التثليث.

٢ ـ في اللاهوت الإسكندري: الإله الثاني (الكلمة) ، الابن الأكبر ، الثنوية.

٣ ـ في الهندوكية: يتجلى الرب في (براهما) في الخلق والتكوين (أب). يتجلى الرب في الحفظ والقوامة فشنو (الابن). يتجلى الرب في

الإهلاك والإبادة سيفا (الروح). كذلك التثليث.

٤ ـ في الديانة الآشورية: يوجد مردوخ (الابن الأكبر) ، الكلمة.

٥ ـ ديانة الإغريق: التثليث: يظهر برش المذبوح ثلاثاً ، والبخور ثلاثاً ويرش المجتمعون حول المذبح ثلاثاً (طقوس الكنيسة نفسها).

ـ كما أن الديانة الزرداشتية تقول بإلهين: إله النور وإله الشر.

ـ المانوية: ديانة ماني: تدعو للتقشف والامتناع عن متع الدنيا.

ـ المزدكية: تدعو للإباحية واشتراكية الأموال والنساء (مشاع).

ـ كما أن لدى الفرس عبادة النار.

ـ ظهرت في تجمعات البرامكة الذين كانوا في عصر الرشيد وآل سهل (منهم الفضل بن سهل) إذ كانت البرامكة تؤوي الزنادقة ، وكان الفضل بن سهل يبعث البعثات (الأحداث وصغار السن) من قومه لبلاده ليتعلموا العقائد الفارسية.

ـ اليونان ومدرسة أرسطو (الفلسفة) التي تبحث في ماهية الخالق والمخلوق والعقل للوصول إلى الحقيقة بمعزل عن الرسالات السماوية فكان منهم من أمثال الفارابي وابن سينا ، ومَنْ أيدَّهم من المعتزلة والإشراقيين ، ومن عارضهم من الأشاعرة.

ـ أما بالنسبة للهند: فقد فتح المسلمون كابول وكشمير سنة ١٤٢ للهجرة ، وكانت عندهم عقيدة التناسخ فحملها بعض السبئيين والروافض والإسماعيلية والفاطميين (العبيديين) والنصيرية والدروز.

ـ وأما الهندوكية: فقد تأثر بها الإشراقيون ومن يقول بوحدة الوجود كابن عربي والحلاج حيث اشتغلوا بالحق والحقيقة (ما دمت تشير فلست بموحد حتى يفني الحق إشارتك فلا يبقى مؤشر ولا مشير له) ، ومن اشتغل بهذا غلبت قوته النفسية (بالمجاهدات) قوته البدنية فيتلطف البدن حتى يخفى عن العين وتطوى المسافات وتمكن من الإيرادات.

ـ إذ إن اليهودية بعد السبي تأثرت ببعض الديانات الوثنية بعد أن كانت

موحدة ، فعبد الله بن سبأ نادى بالرجعة ، إذ كان يقول: عجبت لمن يؤمن برجعة المسيح ولا يؤمن برجعة محمد ﷺ ، ثم تابع بكثير من الضلالات ، ومثله لبيد بن الأعصم الذي كان يقول بخلق التوراة ثم انتقل إلى خلق القرآن ، وعنه أخذ طالوت وعنه أخذ أبان بن سمعان ثم أخذ عنه الجعد بن درهم ومن الجعد إلى الجهم بن صفوان ثم بشر المريسي ذوو الأصول اليهودية.

يضاف إلى ذلك إدخال الإسرائيليات في كتب التفسير.

لقد كان الفرس الذين قربهم بنو العباس يحملون في قلوبهم البغض للإسلام وظاهرهم التشيع لآل البيت ، فأحدثوا في الإسلام الحوادث وكما هو وضع المسلمين اليوم تفتح نوافذهم لسموم المستشرقين الذين تردد أبواقهم الشبهات التي تخطاها السلف في حين أن أهل العقيدة في هذا الزمن صامتون.

ومع انقراض معظم هذه الدعوات الباطلة إلا أن كثيراً من الدعوات الحديثة لها مظهر مؤيد لتلك الأفكار مثل: القيام على ولاة الأمور ، أو الإيمان بالإمام المعصوم ، أو خروج المهدي من السرداب.

ـ فأفكار الخوارج الذين قاتلهم الإمام علي رضي الله عنه أخرجوا الصحابة والخلفاء الراشدين من الدين ، وهم الذين شهد لهم ربهم بالرضا والالتزام بنهج الإسلام.

والسبئية الشيعة الذين حرق الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه غالبيتهم؛ لأنهم أصرُّوا على تأليهه ، ولا تزال فلولهم تحرك أذنابها.

وتشدَّد المعتزلة الذين أجبروا علماء الإسلام على القول بخلق القرآن وأنكروا القدر ، وكانت بدعتهم أن المسلم العاصي مخلد في النار في منزلة بين المنزلتين بعد أن عطلوا صفات الله تعالى ، وتجد اليوم من الكتّاب من يحمل أفكارهم.

ـ وهكذا فالجميع بين الإفراط والتفريط ، والإسلام أمة توسط.

ـ وأخرج أناس الكفر والإلحاد وشتم الصحابة رضوان الله عليهم باسم محبة آل البيت.

ـ وأخرج فسَقَةُ السماع والشطحات باسم الأحوال والزهد ما لا يرضي الله تعالى.

ـ وأخرج الاتحادية الكفر باسم التوحيد ووحدة الوجود.

ـ والخوارج أخرجوا قتال الأئمة باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وكل صاحب باطل كان يروج لباطله بإخراجه بقالب حق ، وكل فرقة تقوم بمضادة فرقة أخرى بدلاً من أن تردَّ عليها بالعدل بل بالجنوح والتطرف.

ـ أما المجسمة فأثبتوا للذات الإلهية جوارح كما للبشر.

والمرجئة التي اعتبرت النطق بالشهادتين يجعل الإنسان مسلماً دون الالتزام بالعمل. ومع الجهل بالدين والقول بأنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، فكانوا دعاة فسق وانحلال فظهر النفاق في قالب الإحسان والظلم في قالب السياسة.

ـ والذين أنكروا القدر وجعلوا الإنسان يفعل ما لا يشاء الله تعالى فعله.

ـ والأشاعرة في ردِّهم على المعتزلة بدلاً من تأكيدهم على القدرة الإلهية التي غابت عن المعتزلة وبدلاً من أن يجعلوها مقابل الحكمة التي حاول المعتزلة إبرازها ، فألفوا الحكمة بدافع الحمية من أجل القدر.

* * *

معارضة أهل الفلسفة للأديان

ـ لقد عارض أحبار اليهود نبوة موسى عليه السلام وقام المعطلة بتقديم كلام الفلاسفة على نصوص التوراة.

ـ وانتهت دعوة عيسى عليه السلام عندما اجتمع الفلسفة في روما وناقشوا وضع المسيح عليه السلام ، إذ انتهوا إلى اعتباره ابن الرب أو رباً ، وعلاقة الرب بمريم ، فأخرجوا دعوته من التوحيد التي جاء بها إلى التثليث والتجسيم.

ـ كذلك الفارابي توسع في صناعة المنطق وشرح فلسفة أرسطو ، ووضع تعاليم الإلحاد والزندقة وسماها الفضيلة ، وقدم أبو علي ابن سينا وجماعة أرسطو الذين لا يعترفون بوجود ملائكة ، ومعهم ابن رشد وأبو البركات والرازي ، ومعهم النصير الطوسي ، ينكرون أن يكون ربهم ماهية غير الوجود المطلق وأن يكون له وصف ثبوتي زائد عن ماهية الوجود ، وقالوا: ما ثمة وجود خالق ووجود مخلوق. إنهم من المتخبطين في مذاهب الفلاسفة ، إذ اعتبروا أن الرسالة يمكن أن تكون بالاكتساب وأن النبوة صنعة من الصنعات ولها خصائص من قوة الحس وقوة التخيل وقوة التأثير.

وأنكروا الوجود المطلق (الإله) فليس إله له صفة ثبوتية ولا يفعل شيئاً باختياره ولا يعلم الموجودات وإلا لَلَحِقَهُ التعب والكلل واستعان بغيره ، كما أنكروا المعاد (اليوم الآخر) والكتب المنزلة ، وهذا عكس ما يقوله سقراط تلميذ فيثاغورس إذ يقول: إن الإله حي ناطق خالق.

وعلى هذا طلب ابن سبعين وابن هود ما كان للأنبياء (أن يكون لهم عمل الأنبياء وما يبينونه) ، وقال ابن عربي: إنه لا ثمة خالق ومخلوق فالكل واحد ، بل ويحذر أتباعه من الاعتقاد بدين خاص: (إياك أن تتقيد بعقد مخصوص وتكفر بما سواه فيفوتك خير كثير بل يفوتك بالأمر ما هو عليه).

* * *

أهـل الضـلالات

١ ـ عمر المقصوص: أول من تكلم بالقدر توفي سنة ٦٤ هـ بالطاعون ودفن حياً بعد موت معاوية بن يزيد (الصالح).

٢ ـ النَّظَّام بن سيار: سمي بشيخ المعتزلة ومعه الجاحظ كانوا على دين البراهمة المنكرين للنبوات والبعث ويخفون ذلك ، كان النظام من الشطار أسقط من غرفته وهو سكران ومات سنة ٢٢٠ للهجرة في خلافة المعتصم أو الواثق.

٣ ـ أبو الهذيل العلاف: كان منحرفاً في سلوكه ، من رؤوس الاعتزال زعم أن نعيم الجنة وعذاب الآخرة ينتهيان ، وكان منكراً للصفات الإلهية التي ذكرت بالكتاب والسنة ، مات سنة ٢٢٧ هـ ، وعمره تجاوز التسعين.

٤ ـ بشر المريسي: والده يهودي ، قصير ، دميم المنظر ، قذر الثياب ، وافر الشعر ، كان فاسقاً ، أخذ علمه من الجهم بن صفوان (من ترفد في خراسان) وأخذه الجهم عن الجعد بن درهم ذي العقيدة المانوية ، وأخذ الجعد هذا العلم عن أبان بن سمعان الذي أخذه عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر رسول الله ﷺ. وكان لبيد يقول بخلق القرآن ، وأول من صنف ذلك طالوت فأفشى الزندقة.

٥ ـ صالح بن سويد مع غيلان حاورهما الخليفة عمر بن عبد العزيز واستتابهما.

٦ ـ غيلان القبطي ومعه يوحنا الدمشقي مواليد دمشق ٥٦ هـ ابن سرجون الذي فتح باب دمشق (الباب الشرقي) سنة ١٤ هـ للقائد أبي عبيدة

وأشرف على جمع الجزية وخلف هذه المهمة لابنه يوحنا؛ ليعتزل في دير مارسابا فوضع أصل النقاش في المسيح. أهو كلمة الله أو هو ابن الله أو هو الله؟ (تعالى الله عن ذلك).

٧ ـ حنا النيقوسي المصري: الذي رحل إلى الحبشة وأرسل رسائل للأقباط يخطِّئ فيها عقيدة الإسلام؛ ليمنعهم من اعتناق عقيدة الإسلام.

٨ ـ سوسنة: نصراني ادعى الإسلام، أول من نطق بالقدر، من العراق، أخذ عنه معبد الجهني الذي قتله الخليفة عبد الملك بعد أن استتابه.

٩ ـ كما قتل الخليفة هشام بن عبد الملك غيلان عندما أنكر القدر بعد أن قطع يده وسأله عندها أحدهم بعد ذلك: هذا قضاء الله؟ فقال: كذبت، ما هذا قضاء وقدر! فصلبه هشام بعد ذلك.

١٠ ـ أحمد بن خابط القدري رئيس الخابطة المعتزلي كان يقول: للكون إلهان: واحد قديم وآخر حديث.

١١ ـ أبو حلمان الدمشقي: تنسب إليه الحلمانية الحلولية، أصله فارسي، من مواليد حلب وبدعته أنشأها في دمشق.

١٢ ـ ما سرجون، يهودي سرياني المذهب (من مصر) ترجم أهوارون بن أعين القسيما عند بني مروان.

١٣ ـ الراهب اصطفانوس المصري: كان يعمل بمدرسة الإسكندرية (الإشراقية) يترجم من اليونانية والقبطية وخاصة كتب الحكمة والنجوم.

١٤ ـ خاطر بن يزيد ت٢٥٤هـ حكيم آل مروان له همة ومحبة للعلوم، أمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونان ممن كان ينزل بمصر وأمرهم بنقل الصفة من اللسان اليوناني إلى العربي أو من القبطي إلى العربي ثم نقل الديوان الذي كان بالفارسية للعربية أيام الحجاج.

١٥ ـ الحارث بن سعيد من مدعي النبوة الكَذَبَة، من الموالي من أهل دمشق قتل سنة ٧٩ هـ؛ لادعائه النبوة في عهد عبد الملك وله أب بالحولة

فعرض له إبليس وكان متعبداً وكان إذا أخذ بالتحميد لم يسمع السامعون مثل كلامه فكتب إلى أبيه بالحولة: أعجل علي فإني رأيت أشياء أتخوف أن الشيطان قد عرض علي، فأجابه أبوه: أقبل أقبل على ما أمرت عليه فإن الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم ولست بالأفاك الأثيم.

١٦ ـ المختار بن أبي عبيد.

ـ أبان بن الخطاب الأجدع.

ـ بيان بن سمعان التميمي.

ـ المغيرة بن سعيد.

كلهم من الموالي قالوا كلمة الكفر وامتازوا بسوء الفهم وسوء القصد.

١٧ ـ فريد توفي سنة ١٣١ للهجرة اتبع مذهب الزرداشتية والمزدكية والخرمية والراوندية والبابكية والمازرباتية.

١٨ ـ أبو مسلم الخراساني، ومن بعده سنباذ الذي طالب بدم أبي مسلم وهو مجوسي، وتغلب على قومس وأصبهان، وفد ومعه ستون ألفاً من أصحابه في معركة مع جهود بن مراد العجيلي في همدان.

١٩ ـ ابن الراوندي: أحد مشاهير الزنادقة، كان أبوه يهودياً، أظهر الإسلام ويقال: حرَّف التوراة، كما أعاد ابنه الكلام بالقرآن وألحد فيه وصنف كتاباً بالرد على القرآن سماه (الدامغ)، وكتاب في الرد على الشريعة والاعتراض عليها وسماه (الزمردة)، وكتاباً يقال له (التاج)، وكتاب (الفريد)، وكتاب (إمامة المفضول للفاضل)، كما وضع كتاباً في قِدَم العالم ونفي الصانع، ووضع كتاباً في تصحيح مذهب الدهرية والرد على أهل التوحيد، ووضع كتاباً في الرد على رسول الله ﷺ ونسبه للكذب وطعن في القرآن. ووضع كتاباً لليهود والنصارى وفضل دينهم على الإسلام يحتج لهم على إبطال نبوة محمد ﷺ.

انتصب للرد على كتبه شيخ المعتزلة أبو علي محمد بن عبد الوهاب

الجُبَّائي ، طلبه الخليفة فهرب إلى ابن لاوي اليهودي ، مات ٢٩٥ للهجرة.

٢٠ ـ أستاذ سيس خرج على الخلافة واستولى على خراسان وقتل سنة ١٥٠ للهجرة (من الزنادقة).

٢١ ـ المقنع الخراساني: ادعى الألوهية ، وقام بثورة في خلافة المهدي بغَيْضَةِ ما وراء النهر ، قالوا: الدين معرفة الإمام فقط ، وتركوا الفرائض.

٢٢ ـ الخرَّمية: بابك الخرَّمي ، قام مع جماعته بثورة ، هدفه القضاء على الإسلام ، يقول بالحلول وأن الله حل بجسد بابك. ويقول بالتناسخ وإباحة النساء والشهوات ، تحصن بالقلاع وعندما شعر بالخطر سقى أهله السم ونساءه وأحرق نفسه وأتباعه بالنار وقال: من أراد أن يرتفع معي إلى السماء فليقذف نفسه بالنار ، دامت ثورته عشرين سنة حتى قضى عليها الأفشين في عهد المعتصم بأكبر نصر للمسلمين.

٢٣ ـ عبد الله بن المقفع: ترجم لبرزوبه لتشكيك ضعيفي الإيمان ، وأقام بالدعوة لمذهب ماني وكان هو مانوياً مزدكياً يقوم بطقوس المجوس ، له كتب منها: الدرة اليتيمة في معارضة القرآن ، قتل لزندقته سنة ١٤٥ للهجرة ، وكان متخفياً بحب آل البيت ، وعمل على نشر تراث الفرس والدعوة للإلحاد.

٢٤ ـ عبد الكريم بن أبي العوجا.

ـ أبو أحمد جرير بن حازم من الأرذ.

ـ عمرو بن عبيد أبوه من سبي فارس من موالي بني نعيم ولد سنة ٨٠ للهجرة.

ـ بشار بن برد الأعمى ، أبو إسحاق النظام ، بشر المريسي ، ثمامة بن الأشر.

ـ واصل بن عطاء ، أبو الهذيل العلاف ، بشر بن المعتمر ، أبو عيسى الوراق.

- هشام القوطي ، محمد بن عبيد الله الإسكافي ، الخياط ، هشام بن الحكم الرافضي المشيئي.

- ضرار بن عمر ، معمر بن أبي العتمر العطار ، أبو عيسى الملقب بالمردار.

- أبو موسى الفراء.

جميعهم لم يعلموا علم الحديث.

٢٥ - عمرو بن عبيد: ولد سنة ٨٠ للهجرة من موالي بني تميم وجده من سبي فارس مولى لآل عرادة من حنظلة تميم ، وكان عبيد نساجاً ثم شرطياً للحجاج وهو من سبي سجستان كان أبوه شر الناس وابنه ملازماً لمجالس العلم (مجلس الحسن البصري) ، ثم صار يأخذ من مشارب شتى ، فصاحب واصل بن عطاء في مجالس الثنوية والمجوس وكانا يجتمعان معاً في مجلس الإمام الحسن البصري وكان عمرو مقرباً للحسن إلى أن أسرَّ له بشيء فقال: الحسن لا ثم كلمة ثانية فقال: لا ولا كرامة ، فلما ولى عمرو قال الحسن: والله لا يفلح. فصار داعية الاعتزال وشتم صحابة رسول الله ﷺ رضي الله عنهم أجمعين.

فكان الحسن البصري يقول: اللهم إني بلغت ما بلغني رسولك وفسرت من محكم تأويلك ما قد صدقه حديث نبيك ألا وإني خائف عمراً ألا وإني خائف عمراً وقام عمرو ببناء علاقة حسنة مع الخليفة أبي جعفر المنصور ينصحه ويخدعه ولم يكن يأخذ من عطاياه فقربه حتى قال المنصور لسُمَّاره وأهل مشورته: كلكم يبتغي صيداً ، كلكم يمشي رويداً ، إلا عمرو بن عبيد. وغر الخلفاء بعده ، مات سنة ١٤٤ للهجرة.

٢٦ - يحيى بن خالد البرمكي: كان وزير الرشيد أرسل إلى الهند ليأتوه بعقاقير وكتب أديانهم ، وكان لما ترجموه دور في الدعوة لعقائد باطلة وإمداد الغلاة المتصوفين بعقيدة الحلول والتناسخ التي كان ينشرها ويدعو إليها.

٢٧ ـ المختار بن أبي عبيد وكيسان بن أبي عمرة من موالي عرينة انضم إليهم الموالي من الفرس فكانوا في الحركات الخارجة عن الدولة الأموية؛ لتمزيق الأمة والهيمنة على أرض العراق وفارس ، وكان التشيع لآل البيت مدخلاً لنِحْلَتِهم. فجميع الفرق الشيعية المغالية قادتها الموالي (المغيرة بن سعيد وبيان بن سمعان. . .).

٢٨ ـ صبيغ التميمي: سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن الذاريات ثم أمر به فضرب مئة جلدة ، وجعل في بيت فكان إذا برئ أعيد عليه الضرب عِدَّةَ مراتٍ ثم حمل على قَتَبٍ وكتب أمير المؤمنين عمر إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما بتحريم مجالسته مع الناس ، ثم ليقيم خطيباً وليقل: إن صبيغاً التميمي طلب العلم وأخطأه فلم يزل وضيعاً في قومه بعد أن كان سيداً.

٢٩ ـ ابن عقيل أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد عقيل البغدادي من الحنابلة خالف المذهب إلى التأويل مثل ابن الجوزي كان يعظم الحلاج فأراد الحنابلة قتله ، ولد سنة ٤٢١ للهجرة وتوفي سنة ٥١٣ للهجرة.

٣٠ ـ أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابي ، ولد سنة ٢٦٠ للهجرة ومات سنة ٣٣٩ للهجرة ويعرف بالمعلم الثاني الفيلسوف المفضل على النبي ـ كما يقول أبو الوفا مبشر بن فاتك المدعو بالأمير ـ أصله من دمشق ، ولد سنة ٦٠٠ للهجرة وتوفي بمصر أيام الظاهر والمستنصر ، تتلمذ على ابن الهيثم وأبي الحسين المعروف بابن الآمدي واشتغل بصناعة الطب والفلسفة.

٣١ ـ ابن حزام: يقول: من وافق الخوارج في إنكار التحكيم وتكفير أصحاب الكبائر والقول بالخروج على أئمة الجور ، وأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار ، وأن الإمامة جائزة في غير قريش فهو من الخوارج النواصب الحرورية والبغاة والشراة.

وبالمقابل كان ابن النفيس: علي بن أبي الحزم القرشي علاء الدين أعلم

أهل عصره بالطب ، ولد بدمشق وتوفي بمصر سنة ٦٨٧ للهجرة ، أشهر كتبه: (فاضل بن ناطق) على نمط حيي بن يقظان (لابن الطفيل) ، قال: ليس إلا مذهبان:

أ ـ أهل الحديث.

ب ـ وأهل الكلام الفلاسفة الذين في كلامهم التناقض.

* * *

التشيع لآل البيت

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾
[الأحزاب: ٣٣]

ـ نبت التشيع في خلافة الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، بينما نبت الخوارج في خلافة الإمام علي. فقد نشأت الشيعة في مصر أولاً ثم امتدت إلى العراق واستقرت فيه ، ثم تعمقت وتطورت وتوسعت كرَدٍّ فعل على تصرفات بني أمية فكان محرضاً على المغالاة في تعظيم علي رضي الله عنه ، وكون أمير المؤمنين كرم الله وجهه أقام خلافته في الكوفة (من العراق) ولكون العراق مهد حضارات الفرس والآشور والكلدان ، لذا كانت تربتها تنبت أرباب الأهواء ، وقد تأثرت الشيعة بالأفكار الفارسية حول الملك وتوارثه.

ـ **دعوة عبد الله بن سبأ**: لقد كان من مقالته:

ـ الوصي: وأن رسول الله ﷺ وصى له.

ـ وأنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصياً وأن علياً خير الأوصياء ، فأوجد اسم الوصي في الإسلام.

ـ كما كان يقول: عجبت لمن يقول برجعة المسيح ولا يقول برجعة محمد ﷺ ، فأوجد ما يسمى بالرجعة ، ويكذب الذين لا يؤمنون بالرجعة لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ . . ﴾ [القصص: ٨٥] فقبل منه ذلك ، ووضع لهم الرجعة فتكلموا بها ، ثم قال: كان ألف نبي

ولكل منهم وصي وعلي خاتم الأوصياء ، وأن عثمان أخذها بغير حق.

ـ ومن مقالته أن علياً له علم خاص ، ثم أظهر البراءة من أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، فقد جاء به المسيب ملبياً فسأله علي رضي الله عنه ما شأنه.؟ فقال: يكذب على الله ورسوله ، فأمر علي رضي الله عنه بقتله ، فصاح الناس: يا أمير المؤمنين أتقتل رجلاً يدعي حبكم. ففر إلى المدائن التي تعج بالملل المختلفة فتعرف عليها ، وهنا ابتدع ألوهية علي ، حتى قال له: أنت أنت. وقال الغلاة له: أنت الخالق البارئ.

كما قال ابن سبأ: إن القرآن جزء من تسعة أجزاء ، وأن محمداً كتم عن أمته تسعة أجزاء.

ـ ولما استشهد علي رضي الله عنه ، أنكر ذلك وقام (ينشر الأكاذيب) إن المقتول ليس علياً ولكن الشيطان تمثل بصورته ، وإن علياً صعد إلى السماء (وكذلك كذب الخوارج في قتله) ، وقال: إنه حيّ يرزق وهو في السحاب ، والرعد صوته والبرق بسمته.

ـ ثم ادعى أن الإله حَلَّ به وبمن بعده من الأئمة ، وهكذا تم التلاعب بعقول السُّذَّج والحاقدين على الإسلام من الشعوبيين الذين التفوا حول المضللين بدافع الحب والولاء لآل بيت (رسول الله ﷺ) ، فكانت أول خطوة لتحطيم أركان الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده ، تحويله من عبادة الله إلى عبادة العبد أو العبيد ، واستغلت فكرة الإمامة بأنها حق من الله له قدسية يجب أن تكون لآل البيت ، علماً بأنه لو كان ذلك لما سكت عنه رسول الله ﷺ المبلغ عن الله تعالى.

ـ ثم مع التطور والانحراف والتعصب صار لهذه الفكرة شروط وأحكام أعطت عصمة الأئمة (ولا عصمة للأنبياء).

ـ ثم استخدم التأويل الباطني لبثّ الأفكار المضللة ولتكون بمنأى عن المراقبة.

* * *

الشيعــة الإماميــة

انقسمت الشيعة الإمامية بعد وفاة جعفر الصادق سنة ١٤٧ للهجرة إلى عدة فرق:

أ ـ الموسوية: التي قالت بإمامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق.

ب ـ الإسماعيلية: التي قالت بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق ، وهذه أيضاً انقسمت إلى فرقتين:

١ ـ فرقة ادعت أن إسماعيل لم يمت بل أظهر الموت تَقيَّةً.

٢ ـ فرقة قالت: إن إسماعيل مات ، وبعده ابنه محمد بن إسماعيل الذي دخل السرداب (في سر من رأى) ، وسموا: المباركية ، ووقفوا على محمد بن إسماعيل ، وقالوا: برجعته بعد غيبته.

٣ ـ وقسم ساق الإمامة في المستورين منهم ، ثم في الظاهرين القائمين ، وهؤلاء الإسماعيلية الباطنية:

ـ **إخوان الصفا**: إسماعيلية باطنية ، كتبوا رسائل عرفت برسائل إخوان الصفا ، وعددها أكثر من ٥٠ رسالة (مقالة) تبحث في مواضيع علمية فلسفية وألغاز.

ـ **الخطابية**: من غلاة الشيعة ، أتباع أبي الخطاب ابن محمد أبي زينب مقلاصي الأسدي الكوفي الأجدع المقتول سنة ١٤٣ للهجرة كان يدَّعي أن أبا عبد الله جعفر الصادق جعله قيّمه ووصيّه من بعده ، وعلّمه اسم الله الأعظم ، ثم ترقى إلى أن ادعى النبوة ، ثم ادعى الرسالة ، ثم ادعى أنه

من الملائكة وأنه رسول الله إلى الأرض وأنه الحجة عليهم ، ثم قسموا إلى خمس فرق منها:

ـ **الإمامية**: يقولون: إن رسول الله ﷺ نص على خلافة علي من بعده نصاً جلياً وساقوا الإمامة من بعده لأولاده حتى الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن المهدي المنتظر. والإمامة عندهم أهم أركان الدين ، ويقولون بعصمة الأنبياء والأئمة.

ـ **الباطنية**: جعلوا لكل ظاهر من الكتاب باطناً ، ولكل تنزيل تأويلاً ، وتخلط كلامها بكلام الفلاسفة في القديم ، ثم صارت مع الإسماعيلية الغلاة فرقة واحدة ويسمون: القرامطة والمزدكية ، وفي خراسان: بالتعليمية والملحدة ، وأساسها جماعة ميمون بن ديصان المعروف بالقداح ، ومحمد بن حسين الملقب بدندان.

* * *

الفــرق المغاليــة

١ ـ **الكيسانية**: أو المختارية: نسبة للمختار الثقفي وصاحب شرطة كيسان.

لقد كان خارجياً ثم زبيرياً ثم رافضياً ، قدم نفسه للشيعة بأنه سيأخذ بثأر الحسين فاستهواه الحكم وأسهم السبئية في إضلاله ، فقالوا له: أنت حجة الزمان ، وحملوه على ادعاء النبوة وأنه يبرر للمهدي الذي بزعمه (محمد ابن الحنفية) ، وكان يقول بتجويز البداءة على الله وعلم الغيب وأن الملائكة تنزل عليه وتؤيده ، واتخذ لنفسه كرسياً كتابوت بني إسرائيل ، واستمرت الكيسانية بعده بالأباطيل ، فقالوا برجعة محمد ابن الحنفية ، وأنه حي بجبل رضوى عنده ماء وعسل ، وعن يمينه أسد وعن شماله نمر يحفظانه.

ـ وقالت الهاشمية بانتقال محمد ابن الحنفية رحمه الله وانتقال الإمامة لابنه أبو هاشم الذي أفضى إليه أسرار العلوم.

٢ ـ **ثم المغيرية**: تنسب إلى المغيرة بن سعيد المولى لبجيلة ، وكان صاحب سحر وشعوذة ، فبدأ بأن الإمامة بعد علي والحسين إلى سبطه محمد بن الحسين بن علي ، وأنه هو المهدي ، ثم أظهر الكفر بعد أن ترأَّس ، وكان يقول بأنه نبي ويعلم اسم الله الأكبر الذي يحيي الموتى ويهزم الجيوش ، ويفضل علياً رضي الله عنه على جميع الأنبياء ، ثم قال: إن معبوده رجل من نور على رأسه تاج وله أعضاء مثل الرجال ، وكان يسب الصحابة ، ثم ادعى الألوهية ، إلى أن أُحرق وجماعته بالنار ، فقد

قتل خالد القسري أحدهم وقال للمغيرة: أَحْيِهِ، ثم أضرم النار بهم جميعاً.

٣ ـ **البيانية**: نسبة إلى بيان بن سمعان التميمي صاحب المغيرة، كان يقول: إن الله جل جلاله على صورة إنسان، ويهلك كله إلا وجهه، وأن الله حل في علي، واختلف أتباعه، فمنهم من يقول: إنه نبي نسخ شرع محمد ﷺ، ومنهم من يزعم أنه إله وأن روح الإله تناسخت في الأنبياء حتى صارت لهاشم بن عبد الله بن محمد ابن الحنفية، ثم لبيان، ويقول: هذا بيان للناس، أنا البيان والهدى، ولما ظفر به خالد القسري صلبه وقال له: أنت تهزم الجيوش فاهزم أعواني عنك.

٤ ـ **المنصورية**: نسبة إلى منصور العجلي، قال مقالة المغيرية نفسها، فقد أباحوا الزنا واللواط، وقال أتباعه: المنصور في السماء والشيعة في الأرض، وزعم أنه عرج إلى السماء فمسح معبوده رأسه بيده، ويحلفون أصحابه: لا والكلمة، وزعم أن عيسى عليه السلام أول من خلق الله ثم علي، وكفر بالجنة والنار، واستحل النساء والمحرمات والخمر والميسر، وأسقط الفرائض، قتله يوسف الثقفي والي العراق.

ـ **الكسفية**: فئة من المنصورية تقول: تُعَجِّلُ بقتل المؤمن ليدخل الجنة والكافر ليدخل النار، لذا يقتلون من معهم ومن خالفهم، وتأولوا أن الجنة نعيم الدنيا، والنار مِحَنُ الناس، وقد وقف يوسف بن عمر الثقفي على عورات المنصورية وهو والي العراق، فأخذ أبا المنصور العجلي فصلبه.

٥ ـ **الجناحية**: نسبة إلى عبد الله بن معاوية بن جعفر ذي الجناحين، كانوا يدَّعون أن العلم ينبت في قلب عبد الله كما تنبت الكمأة والعشب، يكفرون بالقيامة، وقد صلبه أبو جعفر المنصور.

٦ ـ **الخطابية**: نسبة إلى أبي الخطاب ابن أبي زينب، يزعمون أن الأنبياء محدَّثون وحجة على الخلق، ولا يزال منهم رسولان صامت وناطق، فالصامت علي والناطق محمد ﷺ، يعلمون ما هو كائن، وابن الخطاب عندهم نبي والأئمة آلهة، وأبناء الحسين أبناء الله وأحباؤه،

وجعفر الصادق إلههم ، وابن الخطاب أعظم منه وأعظم من علي ، وخرج الخطاب على أبي جعفر المنصور فقتله عيسى بن موسى في الكوفة.

ويزعمون أن الله تعالى حل في علي والحسين وجعفر الصادق ، ولما سمع جعفر الصادق بذلك لعنه ، فلما سمع بذلك عن جعفر الصادق زعم أن الله تعالى انفصل عن جعفر الصادق وحَلَّ به.

وهكذا تبدأ السبئية بالزعم بالنبوة للأئمة ثم بالحلول ثم بالتناسخ ثم البداءة ثم التشبيه والتأويل ثم الرجعة ، فلا زالت تقتات عليها.

والبداءة يكررها البعض ولا يعرفون فحواها ، فيقولون: السلام عليكما يا من بدأ الله في شأنكما ، ثم الغدر بآل البيت إذ يأتون إلى أحدهم ويمنونه حتى إذا خدع بهم يطلبون منه التبرؤ من أبي بكر وعمر ، فإذا أبى أسلموه لحتفه.

وهكذا كان زيد بن علي بن الحسين عندما رفض التبرؤ تبرؤوا منه ، ومن بقي معه سُمُّوا الزيدية ، ولما قبض عليه وأركب حماراً مخالفاً وجهه ليقتل قاموا إليه يبكون ، فقال: يا أخبث خليقة الله أسلمتموني للقتل ثم تبكون عليّ؟!.

وهكذا ألفت كتباً في الكذب على آل البيت وخاصة جعفر الصادق (كالجفر ، والهفت ، واختلاج الأعضاء ، وجدول الهلال ، وأحكام الرعود والبرق) كل ذلك بعد وفاة جعفر الصادق سنة ١٤٨ للهجرة ، وضعت هذه بعد المئة الرابعة عند ظهور الدولة العبيدية (الفاطميين) الذين بنوا القاهرة في مصر فصنفت على مذهب أولئك الإسماعيلية.

وتظهر الصلة واضحة بين البعض واليهود كما يلي:

١ ـ اليهود يقولون: لا يكون الملك إلا في آل داود ، وهم يقولون: في آل علي.

٢ ـ اليهود تقول: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج الماشيخ وينزل

سبباً من السماء ، وهم يقولون: لا جهاد حتى يخرج المهدي وينادي مناد من السماء.

٣ ـ اليهود تقول بتأخير صلاة المغرب حتى تشتبك النجوم ، وكذلك هم يقولون. ويشترك الاثنان في الانحراف عن القبلة وإسدال الثوب في الصلاة وتحريف الكتاب وتحليل قتل المسلم. ولا اعتبار عندهم للطلاق ثلاثاً ، ولا يرون للنساء عِدَّةً ، ويشتركون في بغض جبريل عليه السلام؛ لأنه أخطأ.

ويختلفون عن اليهود والنصارى الذين يعتبرون أن الحواريين وأصحاب موسى عليه السلام خير الناس ، بينما يعتبرون أن الصحابة أسوأ الناس.

الطائفة الإسحاقية: تنسب إلى أبي أيوب النخعي ، كان يعتقد بألوهية علي ، وأنه انتقل إلى الحسن ثم الحسين ، وأنه يظهر في كل وقت ، وتابعه على ذلك خلق كثيرون[1].

* * *

(١) كتاب الجذور التاريخية ، الحسيني عبد الله ، مركز دراسات الخليج والكتاب الإسلامي.